تاريخ العرب والعالم

مجلة مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الواحدة والثلاثون - المجلد ٣٥ - العدد ٢٤٩ - كانون الثاني - شباط ٢٠١١ م الموافق صفر - ربيع الأول ١٤٣٢هـ

- الشاعر محمد يوسف حمود
- صيدا في العصور الفارسية
- مقررات سينودس الشرق الأوسط
- تطور وضعية الوقف في المغرب الإسلامي

يحيى بن أبي طيّء الحلبي (٥٧٥-٦٢٧ هـ/ ١١٧٩-١٢٢٩م)

المؤرخ والأديب وكتابه: «المنتجب في شرح لاميّة العرب»

أ.د. عمر عبد السلام تدمري

حظيت مدينة حلب عبر تاريخها الطويل بمجموعة كبيرة من الأعلام والعلماء الذين اشتهروا بمختلف العلوم والفنون، وقد أخرجت واحتضنت، في العصر الأيوبي الذي هو محور الندوة (٥٧٩. ٦٥٨ هـ/ ١١٨٣ . ١٢٦٠م) العشرات من الأعلام النابهين الذين صنفوا في الأدب والتاريخ والفقه والحديث واللغة والطب وغيره[١].

وفي هذه الورقة أتناول بالدراسة المؤرخ والأديب «يحيى بن أبي طيء الحلبي» وكتابه «المنتجب في شرح لاميّة العرب».

الاسم والنسب:

هو: يحيى بن حُمَيد[٢] بن ظافر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن القائد أبي عليّ يُعرف بمؤيّد الحقّ بن صالح بن علي بن سعد بن كريم بن محمد بن الحسن بن الحارث بن علي بن سعد بن مسعود بن اليعقوب بن حارثة بن الأعصم بن غنْم بن أسد بن سالم بن سعد بن الحارث ابن صخر بن الحارث بن صخر بن الحارث بن الخزْرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزْد - وهو غسّان - بن الغوث بن مالك بن زيد بن كهْلان بن سبأ بن يشجب بن يَعرُب بن قحطان، أبو زكريا بن أبي طيّء الأزْدي.

قال «ابن الشعّار الموصلي» هكذا كُتب نَسَبُه من خطّ يده.

مولده: ولد في حلب أواخر سنة ٥٧٥ هـ (١١٧٩م) في المحلة المعروفة بالجُرن الأصفر.

وفاته: توفي بحلب يوم الأحد الحادي

والعشرين من جمادى الأولى سنة ٦٢٧ هـ[٣] (١٢٢٩م).

نشأته: كان أبوه نجّاراً، وكذلك جدّه، واشتغل بصنعة النجارة مع أبيه بُرهة من الزمان ثم تركها، وكان أبوه مقدّماً على كل نجّار بحلب.

روى عن أبيه أنه كان لا يعيش له ولد، وكان بُشّر بخمسة وعشرين ولداً وفُجع بهم، إذ كان يربّيهم حتّى يبلغوا الخامسة أو السابعة ويموتون، ثم ماتت زوجته، وتزوّج غيرها فرُزق منها بولد سمّاه عليّاً، فعاش سنةً وأياماً ومات، فعظُم مُصابه الى أن رُزق بمولود جديد سمّاه يحيى، وكانت ولادته في أوائل شهر شوال من سنة ٥٧٥ هـ[٤].

نشأ «يحيى» في بيت متواضع، ولكن في محيط علميّ، إذ لم يكن أبوه نجّاراً فحسب، بل كان مولفاً وأديباً، ألف كتاب «مختار فضائل أهل البيت عليهم السلام»، ورحل الى بغداد وقرأ «ديوان أبي الطيب المتنبي» على أبي منصور الجواليقي بداره في شهر شعبان سنة ٥٤٣ هـ. وكان «احمد بن علي بن هبة الله بن المأمون" يقرأ على الجواليقي «الأصمعيات» وجرى أثناء المجلس كلام عن فضل الشعر، وبقي حتى انتهى المجلس وسأل شيخه كتابة الحديث فأملاه عليه وأذن له في روايته عنه[٥]، وروى عنه «ابن المأمون[٦]».

إذن، فقد نشأ «يحيى» في بيت علم ودب، فحفظ القرآن الكريم، وتعلم الكتابة، ومال إلى طلب العلم والأدب، ولقي العلماء وجالس الفُضلاء، وقرأ على أبيه في كتابه «مختار الفضائل» الذي تقدّم، ثم انتقل إلى تعليم الصبيان وإقراء القرآن الكريم، فلزم ذلك الى سنة سبع وتسعين وخمسمائة، ثم أخذه الوزير نظام الدّين أبو المؤيّد محمد بن الحسين الطُغرائيّ وزير الدولة الظاهرية يومئذ الى تعليم ولده، فلزمه إلى سنة ستمائة، ثم ترفّع عن ذلك، ولزم بيته وطلب مشايخ الأدب، ثم عمل الشعر، وصار أحد شعراء دولة الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب، وارتفعت منزلته عنده، وولاه نقابة الفتيان في سنة تسع وستمائة، فكان نقيب حضرته. ومال أثناء ذلك إلى التصنيف فصنّف ما يربو على خمسة وسبعين كتاباً، توزّعت بين كرّاسةٍ ورسالة ومجلّد وعدّة مجلدات.

وقبل أن نعرض لمصنّفاته ونعدّدها نذكر شيوخه، وقد جمعناهم من المصادر التي ترجَمَتْ له، ومن كتابه «المنتَجَب» وهو الذي سنُفْرِد عنه مقالة خاصّة في هذا البحث.

شيوخه

١ - أبوه «حُمَيد بن ظافر»، وقد قرأ القرآن الكريم عليه، وغير ذلك.

٢ - رشيد الدين محمد بن علي بن شهراشوب السَرَوي المازَنْدراني. اشتغل عليه بفقه الشيعة الإمامية، وقرأ عليه تلقيناً في سنة ٥٨٥ هـ «لاميّة العرب» للشنْفَرَى، وقد أكثر من الأخذ عليه كما سيأتي في شرح اللاميّة.

٣ - أبو محمد القاسم بن القاسم الواسطي[٧].

٤ - أبو البقاء، موفّق الدين يعيش بن علي بن يعيش الخطيب النحوي الحلبي[٨].

٥ - أبو القاسم، أحمد بن هبة الله بن الجبراني الحلبي[٩].

٦ - أبو الحَرَم، مكي بن ريّان النحوي الماكسي[١٠]، وقد سمع منه: «مجمل اللغة» و«المفضّليات» و«الحماسة» و«المقامات»

و«ديوان أبي الطيب».

٧ - أبو الثناء، محمود بن طارق الحلبي، الفقيه الحنفي[١١].

٨ - أبو علي، الحسن بن علي بن نصر بن عقيل العبدي، العراقي، هُمام الدين الشاعر الشيعي[١٢] (ت٦٠٤ هـ).

٩ - الأشرف بن الأعزّ بن هاشم، المعروف بتاج العُلى الشريف العلوي الحَسَني (ت٦١٠ هـ) قال ابن أبي طيء: قدم علينا (حلب سنة ٦٠٦ هـ) وصحِبْتُه وقرأت عليه "نهج البلاغة" وكثيراً مَن شعره. وذكر عنه أنه صنّف عدّة كتب، فسأله أن يأذن له في نسخها وقراءتها، فاعتذر بالتقيّة، وأنه مسترزق من طائفة النصْب[١٣].

١٠ - يونس بن سعيد بن حسن الموصلي الشاعر. وقد سمع منه حديث لاميّة العرب وموت قائلها الشنفرى، وذلك في سنة ٥٩١ هـ[١٤].

١١ - يحيى بن الحسن بن البطريق الحِلي، سمعه بحلب سنة ٥٩٣ هـ[١٥].

١٢ - محاسن الحلبي[١٦]، سمع منه شعراً.

١٣ - جمال الدين، أبو القاسم، عبد الله بن أبي زُهرة الحسيني الحلبي[١٧].

١٤ - سديد الدين خليل بن خمارتكين الحلبي[١٨].

١٥ - فخر الدين، علي بن محمد بن نزار بن الشرقية الواسطي[١٩].

١٦ - هُمام الدين العبدي الشاعر[٢٠].

١٧ - ابن دحيَة، وقد سمع عليه بعض «الموطّأ[٢١]».

١٨ - موفّق الدين، أحمد بن محمد بن عمر البغدادي المعروف بالشمس كلي عَيْنَه الحنبليّ[٢٢].

أقوال المؤرخين فيه

قال «ياقوت الحموي» (ت٦٢٨ هـ): «كان يدّعي العلم بالأدب والفقه والأصول على مذهب الإمامية، وجعل التأليف حانوته، ومنه قوته ومكسبه، ولكنه كان يقطع الطريق على تصانيف الناس، يأخذ الكتاب الذي أتعب جامعُه خاطره فيه، فينسخه كما هو، إلا أنه يقدّم فيه ويؤخّر، ويزيد ويُنْقص، ويخترع له اسماً غريباً، ويكتبه كتابة فائقة لمن يُشبّه عليه، ورُزق من ذلك حظاً[٢٣]».

وقال «ياقوت» إنّ ابن أبي طيء قال له: «هذه التصانيف انما أعتمدُها لآكُل بها خبزاً، فما أنسخ كتاباً على وجهه قطّ، وإنما آخذه وأغيّر صورته وأجعله تصنيفاً لي[٢٤]».

وقال «ابن الشعّار الموصلي»: .. بلغت مصنّفاته أكثر من خمسين مصنّفاً.. وكان هذا الرجل يأخذ نفسه بالتصنيف والجمع والتأليف، ويختلق أسماءً وألقاباً لكتب فيضعها ويُضيفها إلى نفسه وينتحلها. ولم يكن إلا صاحب دعاوى ومخاريق وأباطيل، ويوهم أنه قد صنّف وليس عنده مّما ذكر علمٌ ما، ولا وجدت شيئاً من مصنّفاته إلاّ اليسير.

وحدّثني الصاحب الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الفقيه الحنفي بحلب - أيّده الله تعالى - قال:

كان ابن أبي طيّ كذاباً كثير الكذب والتحريف، وإنّ هذه الكتب التي عدّدها وادّعاها، وعمل لها فهرستاً تمويهاً وتوهيماً، لم أقف منها على شيء إلاّ أنه كان يقول: قد صنّفت الكتاب الفُلانيّ في العلم الفُلاني، فنسأله إحضاره فيحتجّ بحجّة ما، ويُغالطنا

ويُوهم أنه قد فرغ. وكل ما يتلفّظ به ويدّعيه زورٌ وكذب، فإذا صح له ذلك وصدق في تصنيفه فيكون قد أغار على بعضٍ الكتب، فيقدّم فيه أو يوخّر، أو يزيد قليلاً أو يختصر، ويختلق له اسماً غريباً وينتحله. هكذا كانت شيمته. وكان قد جعل التصنيف بضاعته، ورأس ماله وصناعته.[٢٥]

وقال «ابن الشعّار» أيضاً: وحدّثني الصاحب الامام أبو القاسم بن أبي جرادة، قال: استعار منّي يحيى بن أبي طيّ النجّار كتاب «الأخبار المستفادة في ذكر بني أبي جَرَادة» الذي ألفته وجمعته في نسَب أجدادي وأخبارهم - رحمهم الله تعالى - فبقي عنده مدّة يطالعه، ثم سيّره بعد ذلك إليّ فتصفّحته فوجدت في أثنائه ورقةً بخط يده متضمّنةً هذه الأبيات من شعره، ثم ذكر الشعر.[٢٦]

واختصر الحافظ «الذهبي» ترجمته في بضعة أسطر، ولم يتعرّض لما ذكره «ياقوت» و«ابن الشعّار" بل أورد اسمه على هذا النحو: «يحيى بن أبي طي النجار بن ظافر بن علي بن عبد الله بن أبي الحسن ابن الأمير محمد بن حسن الغسّاني، الحلبي، الشيعي، الرافضي، مصنّف «تاريخ الشيعة» وهو مسوّدة في عدّة مجلدات، نقلتُ منه كثيراً. ومات في آخر الكهولة. فيُنظر في «التاريخ للعديمي إنْ كان له ذكر[٢٧]».

ونقول: إنّ المجلد الأخير من كتاب «بغية الطلب في تاريخ حلب» لابن العديم، المتضمّن تراجم حرف الياء مفقود، ولا ندري إن كان «ابن العديم» أفرد له ترجمة فيه أم لا، ومن هنا جاءت إشارة «الذهبي».

وذكره «الصفدي» باسم «يحيى بن حُميد أبي طيّ بن ظافر بن النجّار بن علي بن عبد الله ابن الحسين الحلبي» وقال: «أحد من تعاطى الادب والفقه على مذهب الإماميّة واصولهم، وصنّف في أنواع العلوم». ونقل قول «ياقوت» عنه، وأورد قائمةً مطوّلة بأسماء مصنّفاته، وأسماء جماعة من شيوخه، وبعض القِطع من شعره.[٢٨]

وذكره «ابن حجر» باسم: «يحيى بن أبي طيّ حُميد بن ظافر بن علي بن الحسين بن علي ابن محمد بن الحسن بن صالح بن علي بن سعيد بن أبي الخير الطائي، ابو الفضل البخاري الحلبي».

هكذا وقع في الطبعتين من كتاب «لسان الميزان« :[٢٩]»البخاري»، وهذا تصحيف عن «النجّار» وهي صنعته وصنعة أبيه، ونقل «كحالة[٣٠]» هذا التصحيف أيضاً.

وقال«ابن حجر» في آخر ترجمته: «ووقفت على تصانيفه، وهو كثير الأوهام والسَقَط والتصحيف وكان سبب ذلك ما ذكره ياقوت من أخْذه من الصُحُف. قال ياقوت: لقيته سنة تسع عشرة بحلب[٣١]».

أمّا السيد «محسن الأمين» فقد قال في ختام ترجمته: «وعابه بعض معاصريه، والفاضل لا يسلم من ألسنة معاصريه"[٣٢].

نقد أقوال المؤرّخين

من الواضع أن تشيُع «ابن أبي طيّء» جعله مضطهداً من علماء عصره، فنالوا منه، كما نُفي والده من حلب مرة في سنة ٥٤٣ هـ، ولهذا السبب لم يشْغل أيّ منصب ديني، ولم يقُم بالتدريس في مدارس حلب، أو في مساجدها.

وكُتُب «ابن أبي طيّء» تدلّ مراجعة أسمائها على التنوّع والشمولية، فقد ألّف في

الفقه، والقراءآت، والأدب، والنحو، والبلاغة، والنبات، والتاريخ، والتراجم، والسِيَر، وكتب تاريخ البلاد، فخصّ مدينة حلب بأكثر من كتاب، وصنّف في تاريخ الشام، وفي تاريخ مصر، وفي تاريخ المغرب، وهو على تشيُعه، كتب سيرةً حافلةً للسلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، الذي أسقط خلافة الشيعة (الدولة الفاطمية) في مصر، وامتدح بشعره الملك الظاهر غازي الأيوبي.

ورغم كل ما قيل عنه من انتحالِ كُتُب غيره، فقد كانت بعض مؤلفاته مصدراً أساسياً للمؤرّخين من بعده، إذ اعتمد عليه «أبو شامة المقدسي» (ت ٦٦٥ هـ) اعتماداً كبيراً في جمع مادّة كتابه «الروضتين في أخبار الدولتين الزنكية والصلاحية» فهو حين تناول أخبار الجزيرة الفُراتية في عهد «نور الدين محمود زنكي» اعتمد عليه خمس عشرة مرة، ومرةً واحدةً عندما استقرّ «نور الدين» بدمشق، وستّاً وثلاثين مرة مع بداية دخول القائد «شيركوه» إلى مصر إثر استنجاد وزيرها «شاوَر» بنور الدين إلى ان يتولّى «صلاح الدين الأيوبي» الوزارة للخليفة «العاضد» الفاطمي، فهو يقول: «وهذا الذي ذكرناه من قصّة شاور وما جرى بسببه في الديار المصرية إلى انْ تمّت وزارة صلاح الدين قد وجَدّتُه مبسوطاً مشتملاً على زيادات وفوائدَ في كتاب ليحيى بن أبي طيّء في السِيرة الصلاحية، فأحببت ذكره مختصراً».

وفي الجزء الثاني من كتاب «الروضتين» ورغم التحاق القاضي المؤرخ «ابن شدّاد» (ت ٦٣٥ هـ) بخدمة صلاح الدين اعتباراً من سنة ٥٨٤ هـ، وظهور «العماد الاصفهاني» (ت ٥٩٧ هـ) كمؤرّخٍ وأديب وكاتب إلى جانبه، فإنّ كتاب «ابن أبي طيّء» في «سيرة صلاح الدين» ظلّ مصدرا مهمّاً حيث اقتبس «أبو شامة» منه عشرين مرة. وهو يبدأ النقل عنه اعتباراً من حوادث سنة ٥٣٤ هـ، وفيها كان أخْذ مدينة بعلبك من صاحب دمشق، وتسلم حصن بارين (بَعْرين) - بين حمص وطرابلس - من الفرنج. وتتفاوت الاقتباسات بين عدّة أسطر إلى اكثر من صفحة وصفحتين، وتتنوع بين نصوص مكاتبات، وأخبار، وقصائد لبعض الشعراء المعروفين وغير المعروفين. ولم يتعرّض «ابو شامة» له بشيء ينقص من قيمة معلوماته التي نقلها عنه، وكان «ابن ابي طيّء» يصرّح أحيانا أنه يروي عن والده. بل إنّ «أبا شامة" يؤكّد في كتابه على صحّة قول «ابن أبي طيّء[٣٣]».

وليست كل مؤلفات «ابن ابي طيّء» منقولة عن مؤلفين متقدّمين عليه كما يقول بعضهم، بل هو يأتي بأخبار ومعلومات شاهدها بنفسه، ومن ذلك، يذكر وصول رسول «نور الدين زنكي» إلى «صلاح الدين» في مصر ليرسل له كشفاً بالاموال والذخائر التي دخلت تحت يده، قال: «ووقفت على برنامج شرحها بخط الموفّق بن القيسراني وهي خمس ختْمات، إحداها ختْمة ثلاثون جزءاً مُغشّاة بأطلس أزرق، مضبّبة بصفائح ذهب، وعليها أقفالُ ذهب، مكتوبة بالذهب، بخط يانَس..[٣٤]».

ونقول: إنّ «يانَس» هذا هو «يانس الناسخ الطرابلسيّ» الذي كان بين مائة وثمانين ناسخا يعملون في نسخ الكتب في «دار العلم» بطرابلس، وهو ممّن أخذه الفرنج أسيراً عند احتلالهم المدينة في آخر سنة ٥٠٢ هـ/ ١١٠٩م، فافتداه والد «أسامة بن منقذ» منهم، فأقام في شَيْزَر، ونسخ له ختمتين من المصحف الشريف[٣٥].

إذن، فالمعلومات التي ذكرها «ابن أبي

طيّء» في مصنّفاته نجد لها توثيقاً وتأييداً في مصادر الثقات من المؤرّخين.

وقد نقل «أبو شامة» عنه أنّ أباه كتب إلى حلب يهجو أولاد «الداية» وغيرهم ممن تعصّبوا عليه حتى نفاه «نور الدين زنكي»، ومن ذلك قوله من قصيدة:

بنو فلانة أعوان الضلالة قد
قضى بذلّهم الأفلاك والقدر
وأصبحوا بعد عزّ المُلك في صفد
وقعرِ مُظلمةٍ يَغشى لها البصر

وهو يصرّح أحياناً عن المظانّ التي ينقل عنها، فذكر أبياتاً من قصيدة قال إنّ «العماد الأصفهاني» أنشدها في فتح قلعة حمص سنة ٥٧٠ هـ، كما ذكر أبياتاً من قصيدة لابن سعدان الحلبي يمدح فيها السلطان «صلاح الدين» يذكر فيها موقعة عسقلان عام ٥٧٢ هـ.

وممّن نقل عنه من المؤرخين الثقات واعتمد على معلوماته المؤرّخ الحافظ «شمس الدين الذهبي» (ت ٧٤٨ هـ) فقد ذكره في «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» وقال إنه نقل كثيراً من مصنّفه «تاريخ الشيعة» وهو مسوّدة في عدّة مجلدات(٣٦). كما نقل عنه «ابن شدّاد» في «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة»، و«ابن العديم الحلبي» في: «بغية الطلب في تاريخ حلب».

كذلك نقل المؤرخ «ابن الفرات» (ت ٨٠٧ هـ) عن بعض مصنّفاته كثيراً من النصوص التاريخية وضمّنها كتابه «تاريخ الدول والملوك»، ومنها نصوص نادرة انفرد «ابن أبي طيّء» بما دون غيره، نذكر منها هذا النصّ عن «دار العلم» بطرابلس، وكيف أحرقها الفرنج أول عام ٥٠٣ هـ/ ١١٠٩م عند احتلالهم المدينة: قال «ابن أبي طيّء»:

«كان في طرابلس دار للعلم، ولم يكن في جميع البلاد مثلها كثرة وحسناً وجودة، وقال: حدّثني أبي قال: حدّثني شيخ من اهل طرابلس قال: كنت مع فخر المُلك ابن عمّار صاحب طرابلس وهو في شيزر وقد وصله أخْذ طرابلس، فأغمي عليه وأفاق ودموعه مستفيضة وقال: والله ما أسفي على شيء كأسفي على دار العلم، فإنّ فيها ثلاثة آلاف ألف ألف كتاب كلها في علم الدين والقرآن والحديث والأدب، وقال: إنّ بها خمسون ألف مصحف، وإن فيها عشرين ألف تفسير لكتاب الله عزّ وجل. قال أبي: وكانت هذه دار العلم من عجائب الدنيا، وكان بنو عمار قد عنوا بها العناية العظيمة، كان فيها مائة وثمانون ناسخاً تنسخ بالجراية والجامكية، ومنهم ثلاثون نفساً لا يفارقونها ليلا ولا نهاراً، وكان لهم في جميع البلاد من يشتري لهم الكتب المنتخبة. وكانت طرابلس أيام بني عمّار قد صارت جميعها دار علم، وقصدها الفضلاء من سائر الأقطار، ونفقت على بني عمّار بسائر العلوم وقصدهم الناس بها، لا سيما علم الإمامية، فإنهم أحبوه وأحبّوا أهله. قال: ولما دخل الفرنج إلى طرابلس وافتتحوها أحرقوا دار العلم. وكان السبب في إحراقهم لها أنّ بعض القُسوس (...) لما رأى تلك الكتب هالته، واتفق أنه وقع في خزانة المصاحف الكرام فمدّ يده إلى مجلد فإذا هو مصحف، ثم إلى آخر فراه كذلك، ثم إلى آخر فوجده مصحفاً، حتى اعتبر عشرين مجلداً، فقال: كل ما في هذه الدار هو قرآن المسلمين، فلذلك أحرقوها، وتخطّف الفرنج- لعن الله من مضى منهم وخذل من بقي منهم - أشياء من الكتب، وهي التي خرجت إلى بلاد المسلمين، وهدموا ما فيها من المساجد، وعوّلوا على قتل جميع من فيها من المسلمين. فقال لهم بعض النصارى: ليس هذا صواب، وهذا بلد كبير، ومن أين لكم عائدٌ بعده؟ والصواب أن تضربوا عليهم الجزية بعد أخْذ أموالهم، وتخلوهم عمارة للبلد مع أنكم لا تمكنوهم من الخروج من البلد فيكونوا كالأسارى، وتنتفعون بمقامهم عندكم، فاستكفوا بعد أن قتلوا فيها عشرة آلاف نفس..(٣٧)».

وأسلوب «ابن أبي طيّء» كما هو واضح من النصّ الذي تقدّم، ومن النصوص الكثيرة التي اقتبسها منه «أبو شامة» و«ابن الفرات» و«بدر الدين العيني(٣٨)» أسلوبٌ مجرّد من الزُخرف والتصنّع، واقعيّ، مختصر، يعتمد كثيراً على روايات أبيه. ومن المؤسف أن جميع مؤلفاته باستثناء واحد فقط - تُعتبر ضائعة حتى الآن، وكانت موجودةً حتى النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، على الأقلّ بدليل أنّ المؤرّخ الحافظ «ابن حجر العسقلاني» (ت ٨٥٢ هـ) اطلع عليها، فقال في كتابه «لسان الميزان٦» »/٢٣٦، ٢٦٤ رقم ٩٢٤): «ووقفت على تصانيفه وهو كثير الأوهام والسّقط والتصحيف، وكان سبب ذلك ما ذكره ياقوت من أخذه من الصُحف».

ونقل عنه «سبط ابن العجمي» (ت ٨٨٤ هـ) خبر تأسيس عمارة منارة جامع حلب في زمان الأمير «سابق بن محمود بن صالح» وأن الذي عمّرها من بلدة سرمين، وبلغ أساسها الماء، وعقد حجارتها بالكلاليب الحديد والرصاص، وأتمها في أيام «قسيم الدولة» وطول هذه المنارة الى الدرابزين بذراع اليد ٩٧ ذراعاً، وعدد مراقيها ١٦٤ درجة(٣٩).

مصنّفاته

بلغت مصنّفاته أكثر من سبعين مصنّفاً، أحصاها «الصفدي» (ت ٧٦٤ هـ) في «الوافي بالوفيات» وقد ضاعت كلها، ولم يصلنا منها سوى كتاب واحد طُبع مصوّراً قبل سنوات قليلة هو «المنتَجَب من شرح لاميّة العرب»، وهذه لائحة بأسمائها مرتبة على أوائل الحروف:

١ ـ الآل والعذب الزُلال.
٢ ـ أحكام النساء في الفقه.
٣ ـ أخبار الشعراء الشيعة(٤٠) مرتّب على الحروف الهجائية.
٤ ـ أخلاق الصوفية.
٥ ـ أسماء رواة الشيعة ومصنّفيها.
٦ ـ أسماء الشعراء.
٧ ـ اشتقاق أسماء البلدان.
٨ ـ الأضداد.
٩ ـ إفراد قراءة أبي عمرو بن العلاء.
١٠ ـ الاقتصاد في الفرق بين الظاء والصاد(٤١).
١١ ـ الإيجاز في الألغاز.
١٢ ـ البيان في أسباب نزول القرآن.
١٣ ـ بيان المعالم.
١٤ ـ تاريخ العلماء. مجلد.
١٥ ـ تاريخ مصر.
١٦ ـ تحفة الطائفة الفقهائية في شرح كلماتهم اللغوية.
١٧ ـ التحقيق في أوصاف الرقيق.
١٨ ـ التصحيف والأحاجي.
١٩ ـ تضوّع اللطائم في شرح خطبة فاطمة الزهراء.
٢٠ ـ التنبيهات على صنع النبات(٤٢).

طيّء» في مصنّفاته نجد لها توثيقاً وتأييداً في مصادر الثقات من المؤرّخين.

وقد نقل «أبو شامة» عنه أنّ أباه كتب إلى حلب يهجو أولاد «الداية» وغيرهم ممن تعصّبوا عليه حتى نفاه «نور الدين زنكي»، ومن ذلك قوله من قصيدة:

بنو فُلانة أعوان الضلالة قد
قضى بذلّهم الأفلاكُ والقدر
وأصبحوا بعد عزّ المُلك في صفد
وقعرِ مُظلمةٍ يَغْشى لها البصر

وهو يصرّح أحياناً عن المظانّ التي ينقل عنها، فذكر أبياتاً من قصيدة قال إنّ «العماد الأصفهاني» أنشدها في فتح قلعة حمص سنة ٥٧٠ هـ، كما ذكر أبياتاً من قصيدة لابن سعدان الحلبي يمدح فيها السلطان «صلاح الدين» يذكر فيها موقعة عسقلان عام ٥٧٢ هـ.

وممّن نقل عنه من المؤرخين الثقات واعتمد على معلوماته المؤرّخ الحافظ «شمس الدين الذهبي» (ت ٧٤٨ هـ) فقد ذكره في «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» وقال إنه نقل كثيراً من مصنّفه «تاريخ الشيعة» وهو مسوّدة في عدّة مجلدات[٣٦]. كما نقل عنه «ابن شدّاد» في «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة»، و«ابن العديم الحلبي» في: «بغية الطلب في تاريخ حلب».

كذلك نقل المؤرخ «ابن الفرات» (ت ٨٠٧ هـ) عن بعض مصنّفاته كثيراً من النصوص التاريخية وضمّنها كتابه «تاريخ الدول والملوك»، ومنها نصوص نادرة انفرد «ابن أبي طيّء» بما دون غيره، نذكر منها هذا النصّ عن «دار العلم» بطرابلس، وكيف أحرقها الفرنج أول عام ٥٠٣ هـ/ ١١٠٩م عند احتلالهم المدينة: قال «ابن أبي طيّء»:

«كان في طرابلس دار للعلم، ولم يكن في جميع البلاد مثلها كثرة وحسناً وجودة، وقال: حدّثني أبي قال: حدّثني شيخ من أهل طرابلس قال: كنت مع فخر المُلك ابن عمّار صاحب طرابلس وهو في شيزر وقد وصله أخْذ طرابلس، فأغمي عليه وأفاق ودموعه مستفيضة وقال: والله ما أسفي على شيء كأسفي على دار العلم، فإنّ فيها ثلاثة آلاف ألف ألف كتاب كلها في علم الدين والقرآن والحديث والأدب، وقال: إنّ بها خمسون ألف مصحف، وإن فيها عشرين ألف تفسير لكتاب الله عزّ وجل. قال أبي: وكانت هذه دار العلم من عجائب الدنيا، وكان بنو عمار قد عنوا بها العناية العظيمة، كان فيها مائة وثمانون ناسخاً تنسخ بالجراية والجامكية، ومنهم ثلاثون نفساً لا يفارقونها ليلا ولا نهاراً، وكان لهم في جميع البلاد من يشتري لهم الكتب المنتخبة. وكانت طرابلس أيام بني عمّار قد صارت جميعها دار علم، وقصدها الفضلاء من سائر الأقطار، ونفقت على بني عمّار بسائر العلوم وقصدهم الناس بها، لا سيما علم الإمامية، فإنهم أحبوه وأحبّوا أهله. قال: ولما دخل الفرنج إلى طرابلس وافتتحوها أحرقوا دار العلم. وكان السبب في إحراقهم لها أنّ بعض القُسوس (...) لما رأى تلك الكتب هالته، واتفق انه وقع في خزانة المصاحف الكرام فمدّ يده إلى مجلد فإذا هو مصحف، ثم إلى آخر فرآه كذلك، ثم إلى آخر فوجده مصحفاً، حتى اعتبر عشرين مجلداً، فقال: كل ما في هذه الدار هو قرآن المسلمين، فلذلك أحرقوها، وتخطّف الفرنج - لعن الله من مضى منهم وخذل من بقي منهم - أشياء من

الكتب، وهي التي خرجت إلى بلاد المسلمين، وهدموا ما فيها من المساجد، وعوّلوا على قتل جميع من فيها من المسلمين. فقال لهم بعض النصارى: ليس هذا صواب، وهذا بلد كبير، ومن أين لكم عائدٌ بعده؟ والصواب أن تضربوا عليهم الجزية بعد أخْذ أموالهم، وتخلوهم عمارة للبلد مع أنكم لا تمكنوهم من الخروج من البلد فيكونوا كالأسارى، وتنتفعون بمقامهم عندكم، فاستكفوا بعد أن قتلوا فيها عشرة آلاف نفس..[٣٧]».

وأسلوب «ابن أبي طيّء» كما هو واضح من النصّ الذي تقدّم، ومن النصوص الكثيرة التي اقتبسها منه «أبو شامة» و«ابن الفرات» و«بدر الدين العيني[٣٨]» أسلوبٌ مجرّد من الزُخرف والتصنّع، واقعيّ، مختصر، يعتمد كثيراً على روايات أبيه. ومن المؤسف أن جميع مؤلفاته باستثناء واحد فقط - تُعتبر ضائعة حتى الآن، وكانت موجودةً حتى النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، على الأقل بدليل أنّ المؤرّخ الحافظ «ابن حجر العسقلاني» (ت ٨٥٢ هـ) اطلع عليها، فقال في كتابه «لسان الميزان٦» »/٢٣٦، ٢٦٤ رقم ٩٢٤): «ووقفت على تصانيفه وهو كثير الأوهام والسّقط والتصحيف، وكان سبب ذلك ما ذكره ياقوت من أخذه من الصُحف».

ونقل عنه «سبط ابن العجمي» (ت ٨٨٤ هـ) خبر تأسيس عمارة منارة جامع حلب في زمان الأمير «سابق بن محمود بن صالح» وأن الذي عمّرها من بلدة سرمين، وبلغ أساسها الماء، وعقد حجارتها بالكلاليب الحديد والرصاص، وأتمها في أيام «قسيم الدولة» وطول هذه المنارة الى الدرابزين بذراع اليد ٩٧ ذراعاً، وعدد مراقيها ١٦٤ درجة[٣٩].

مصنّفاته

بلغت مصنّفاته أكثر من سبعين مصنّفاً، أحصاها «الصفدي» (ت ٧٦٤ هـ) في «الوافي بالوفيات» وقد ضاعت كلها، ولم يصلنا منها سوى كتاب واحد طُبع مصوّراً قبل سنوات قليلة هو «المنتجَب من شرح لاميّة العرب»، وهذه لائحة بأسمائها مرتبة على أوائل الحروف:

١ - الآل والعذْب الزُلال.
٢ - أحكام النساء في الفقه.
٣ - أخبار الشعراء الشيعة[٤٠] مرتّب على الحروف الهجائية.
٤ - أخلاق الصوفية.
٥ - أسماء رواة الشيعة ومصنّفيها.
٦ - أسماء الشعراء.
٧ - اشتقاق أسماء البلدان.
٨ - الأضداد.
٩ - إفراد قراءة أبي عمرو بن العلاء.
١٠ - الاقتصاد في الفرق بين الظاء والصاد[٤١].
١١ - الإيجاز في الألغاز.
١٢ - البيان في أسباب نزول القرآن.
١٣ - بيان المعالم.
١٤ - تاريخ العلماء. مجلد.
١٥ - تاريخ مصر.
١٦ - تحفة الطائفة الفقهائية في شرح كلماتهم اللغوية.
١٧ - التحقيق في أوصاف الرقيق.
١٨ - التصحيف والأحاجي.
١٩ - تضوّع اللطائم في شرح خطبة فاطمة الزهراء.
٢٠ - التنبيهات على صنع النبات[٤٢].

٢١ ـ التنبيهات في تعبير المنامات.
٢٢ ـ التنبيه على محاسن التشبيه، أتى فيه بجميع فنون التشبيهات، وما قال العلماء فيه، وهو كتاب حسَن في بابه.
٢٣ ـ تهذيب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البّر.
٢٤ ـ الجمع بين زوائد كتاب الصحاح وزوائد المُجمَل.
٢٥ ـ الحاوي، في رجال الإماميّة. ذكر فيه رجال الشيعة وعلماءهم وفقهاءهم وشعراءهم وأئمّتهم المصنّفين في مذهبهم، وهو مرتب على حروف الهجاء.
٢٦ ـ الحاوي، في المعمول عليه من الفتاوى.
٢٧ ـ حوادث الزمان. وهو كتاب تاريخ على حروف المعجم، في خمس مجلدات.
٢٨ ـ خلاصة الخلاص في آداب الخواص. في عشر مجلدات.
٢٩ ـ ديوان المدائح.
٣٠ ـ الذخائر العُقبى.
٣١ ـ ذخر البشر في معرفة الأئمّة الإثني عشر.
٣٢ ـ ذخر البشر في معرفة القضاء والقدر.
٣٣ ـ ذيل التاريخ الكبير المسمّى معادن الذهب (في تاريخ حلب).
٣٤ ـ الروضات البهجات في محاسن الفتيات[٤٣].
٣٥ ـ سرّ السرائر، في الفقه.
٣٦ ـ سلك النظام في أخبار (أو تاريخ) الشام. أربع مجلدات.
٣٧ ـ سيرة ملوك حلب. ثلاث مجلدات.
٣٨ ـ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. ثلاث مجلدات.
٣٩ ـ شرح الحماسة.
٤٠ ـ شرح غرائب[٤٤] ألفاظ المقامات.
٤١ ـ شرح كلام أمّ سلمة لعائشة رضي الله عنهما.
٤٢ ـ شرح نهج البلاغة. ستّ مجلدات.
٤٣ ـ شفاء الغليل في ذمّ الصاحب والخليل. مجلد.
٤٤ ـ طبقات العلماء الإمامية. ذكره «ابن حجر» في «الإصابة[٤٥]».
٤٥ ـ العروس في أدب السائس والمَسُوس.
٤٦ ـ عقود الجواهر في سيرة الملك الظاهر، بيبرس التركي؟
٤٧ ـ عمل إحدى وخمسين.
٤٨ ـ غريب القرآن. مختصر[٤٦].
٤٩ ـ الفرق بين الراء والغين.
٥٠ ـ الفرق بين السين والزاي والصاد.
٥١ ـ فضائل الأئمة. أربع مجلدات.
٥٢ ـ قَبَسة العجلان في تفسير القرآن.
٥٣ ـ القواعد الكلية في شرح رسالة سَلاّر.
٥٤ ـ قوانين الحسبة.
٥٥ ـ كتاب في حكميّ كلام الأئمة الاثني عشر[٤٧].
٥٦ ـ الكشف والتبيين في محاسن التضمين.
٥٧ ـ كنز الموحدين في سيرة صلاح الدين.
٥٨ ـ اللباب في أسماء الأحباب.
٥٩ ـ لمح[٤٨] البرهان في تفسير القرآن.
٦٠ ـ المجالس الأربعين في فضائل الأئمة الطاهرين.
٦١ ـ مجموع مسائل فقه وأصول.
٦٢ ـ محاسن الغلمان[٤٩]. يحتوي على ألف وتسعمائة غلام. جمع فيه من جيّد الأشعار اللطيفة المعاني ما لا يوجد مجموعاً في كتاب، وقدّمه للملك الظاهر فأعجب به وأثابه عليه أحسن ثواب.
٦٣ ـ مختار تاريخ المغرب.

٦٤ ـ مختصر مجمل اللغة[٥٠].
٦٥ ـ مدرعة السفيه[٥١] ومَوْزَعة النبيه في المآخذ على راجح الحلي وسرقاته.
٦٦ ـ المشكاة في عويص مسائل النحاة.
٦٧ ـ معادن الذهب في تاريخ حلب. وهو كتاب كبير جمع فيه أخبار الملوك والعلماء، واحتوى على أخبار الشام التي لا يوجد مجموعه في كتاب قديم ولا حديث، وابتدأ به من أول الفتوح إلى سنة ٥٨٩ هـ وأوصل فيه الدول وأخبارها القديمة في الإسلام والحديثة، وهو كتاب نافع ومفيد. وقد ذيّله.
٦٨ ـ مقرعة المُدّعين في تفسير الفاتحة.
٦٩ ـ مناقب الأئمة الإثني عشر، وفيها زجر البشر.
٧٠ ـ المنتجب في شرح لامية العرب (صوّر في الولايات المتحدة الأميركية) قال العلامة «الشنقيطي» اللغوي: وهو شرح لا نظير له حقيقة، يشفي العليل، ويروي الغليل. جمع فيه من الفوائد ما لا يكاد يوجد في غيره.
٧١ ـ النبراس في الجناس.
٧٢ ـ نسيم الارواح في ما جاء في التفاح.
٧٣ ـ نُكَت درّة الغوّاص.
٧٤ ـ النُكتة والشاردة[٥٢] والنادرة والفائدة.
٧٥ ـ نهج البيان في عمل شهر رمضان.

المنتجب في شرح لاميّة العرب

هو الكتاب الوحيد الذي وصل إلينا من تصنيف «ابن أبي طيّء»، وإن كان يُحتمل أن يكون له كتاب آخر بعنوان «تراجم رجال الأدب والشعراء[٥٣]» تحتاج نسبته إليه بعض التحقيق.

تحتفظ مكتبة «الإسكوريال» القريبة من مدريد بنسخة خطية من «المنتجب» برقم ٣١٤، في ١٦٩ ورقة، قام السيد «محمد حسين الحسيني الجلالي» بتصويرها بالأوفست، ونشرها في الولايات المتحدة الأميركية، دون أيّ تحقيق، واكتفى بوضع مقدّمة مختصرة لها، ولكنها ملأى بالأغلاط الإملائية[٥٤].

وتتضمن النسخة شرحاً وافياً لقصيدة الشاعر الجاهلي «عمرو بن مالك الشنفرَى» (ت ٧٠ قبل الهجرة)، وجاء العنوان ضمن إطار مستطيل، زُيّن في الداخل والخارج بزخرفة نباتية، وهو في أربعة أسطر، على هذا النحو:

كتاب
المنتَجَب في شرح لاميّة العرب
وهي قصيدة الشنفرَى الأزْدي
صنعة يحيى بن أبي طيّء حُميد بن
ظافر بن علي الحلبي الغسّاني

وحول الإطار كُتبت عدة تملكات، منها: «في نوبة علي بن عماد الدين الشافعي». ومنها: «دخل في ملك الفقير إلى رحمة الغني الصمد علي بن أمر الله بن محمد جمع الله تعالى بينهم في مقعد صدق في شهور سنة ٩٧١».

ومنها: «يثق بالكريم المنّان مالكه محمد بن عثمان».

ومنها: «دخل في نوبة الفقير إلى الله محمد حسين الحسيني الجلالي» (وقد كتب تملكه خمس مرّات مع الختم).

ومنها: «في نوبة الواثق بالله أحمد بن يوسف بن إسحاق..»

وبعد العنوان كُتب ما يلي:

«هذه لاميّة العرب التي سمّى الطُغْرائي[٥٥] قصيدته اللامية التي أولها:

أصالة الرأي صانتني عن الخَطَل

وحلية الفضل زانتني لدى العَطَل

بلاميّة العجم، وشرحها الصلاح الصفدي بالشرح الذي سمّاه بالغيث المسجم على لاميّة العجم. ولاميّة العرب هي الأصل المبنيّ عليه، والبحر المعوّل في الادب عليه، لم يسمح الأدب بمثاله، ولم يُنسج على منواله. وحسبُك هذا الشرح المنتَجَب الذي أبان عن مُعجز غرائب العرب، في فنون الأدب. فتصفّح معانيَ ألفاظه ترى العجب».

ومن الواضح أنّ هذا النصّ كُتب في عهد ليس ببعيد عن القرن الماضي.

وفي الصفحة الثانية ذكر «ابن أبي طيّء» أنه شرح كلمة الشنفَرَى لاميّة العرب «ومنهاج الأدب القصيدة.. لأجعلها خدمة لفُلان، أدام الله له القُدرة.. /٢ب/ فلولاه مات الناس والعلم... فهو الذي جعلني إنْ حضرت عَرَفَ شاني، وإنْ غبت لم يُجهل مكاني.. ولما اعترفت بنعَمه، ووجب عليّ شكر صيّب ديَمه، لم أجد ما ينوّه بشكره في الأقطار، ويشهَّر ذكره في الأمصار، ويُبقي إسمه على ممرّ الليل والنهار، إلا إيداع اسمه تأليفاً، وتضمينه تصنيفاً، ليصبح ذكره مع الزمان مخلداً، واسمه مع الأيام مؤبّدا...

أوسَمْتُه بك يا أعلا (!) الورى رُتبا

وأظهَرَ الناس أخلاقاً وأعراقا

وصَفتُه لابنك الميمون طائره

ومن غدا نحو غاي المجد سبّاقا

علماً بأنّك أعلا (!) الناس مرتبةً

وأنّ علمك علمَ الناس قد فاقا

فاقبَله، أغض على ما فيه من خطأ

لا زلتَ للمكرُمات الغُرّ لحاقا

... والله العظيمَ أسَل، وإليه أبْهَل، أن يقع على حسب إرادتك، ويُوافق وفقَ طلبتك، وأن يرزقه من سعادة اسمك المسعود..».

وأقول تعليقاً على ما تقدّم: «إنّ «ابن أبي طيّء» لم يصرّح باسم الشخص المُهدي إليه هذ الشرح، هو قد كتبه بخطه في سنة ٦١٨ هـ. كما هو مؤرّخ في آخر النسخة، ولذا تُعتَبر النسخة مسوّدة مُهيّأةً لكي ينسخ عليها لمن يطلبها، وهذا يؤيّد ما قاله «ياقوت» و«ابن العديم» و«ابن الشعار» وغيرهم من أنه كان يرتزق من نسخ الكتب.

ومع هذا، فإنه يأتي بمعلومات جديدة عن الشيوخ الذين لقيهم وأخذ منهم، مما لا نجده في تراجمهم، وبعضهم لا نجد لهم ذكراً في المصادر أصلا، فهو يُثري بهؤلاء وأولَئك معارفنا في هذا المجال.

وبالعودة إلى كتاب «المنتَجَب» نجد «ابن أبي طيّء» يقول إنه قرأ «لاميّة العرب» على الشيخ موفّق الدين يعيش بن علي الخطيب الحلبي، بداره بحلب بباب الجامع الشمالي، بدرب الخواتيمي، في سنة ٦٠١ هـ (ورقة ٣/ أ) ورواها له إجازة الشيخ أحمد بن علي بن الحسن بن زنبور الحلي، وكتب له بالرواية من الموصل سنة ٦٠١ هـ (ورقة ٣/أ، ب) وقرأها على الشيخ رشيد الدين محمد بن علي بن شهراشوب السَرَوي المازَنْدراني تلقيفاً (!) في سنة ٥٨٥ هـ. وحدّثه بها وبهذا الحديث، قال: "قدمتُ في سنة سبع وأربعين وخمسمائة من مازَنْدران طالباً للحجّ بغداد، وكان إذ ذاك آهلةً بالعلما فحضرت مجلس الوزير عون الدين أبي منصور بن هَبيرة في يوم الإثنين وكان يجلس لسماح الحديث... (ورقة ٣/ب) وأخبرني بها الرشيد أيضاً وحفظتها من لفظه سنة خمس وثمانين وخمسمائة، وكان بصيراً جداً وبغيرها من أشعار العرب. وقد ذكرت جميع طرقه

الأدبية والفقهية والأحاديثية في كتاب «من لقيته من الرجال العلماء» عن أبيه، عن جدّه شهراشوب، عن نبهان، عن جدّه أبي الحسن هلال بن المحسن.. وذكر لي الرشيد أنه سمعها على السيد المنتهى بن كيايكي، عن أبي الحسن علي بن محمد الكاتب، عن ابن دُرَيد.. وبهذا الإسناد أروي جميع كتب ابن دريد إجازةً (ورقة ٤/ب)».

ويكثر «ابن أبي طيّء» القراءة والأخذ على رشيد الدين المازَنْدراني، فيذكره تارة بلقبه «رشيد الدين١٧) » /ب) أو «الرشيد» وتارة بقوله: «الشيخ" ، فقال: قرأت على الشيخ رحمه الله في «شرح ديوان المتنبي» شرح ابن جني (٢٦/أ) وقرأت على الشيخ في كتاب «الاختراع» ٣٦)/أ و٣٧/ب) وقرأت على الرشيد في كتابه «النوادر٣٦) »/ب) وكتاب النوادر: نوادر أبي بكر بن أحمد بن كامل بن شجرة. (٤١/أ) وقرأت على الشيخ في «دُرّة الغوّاص في أوهام الخواصّ» تأليف أبي القاسم بن الحريري صاحب المقامات. (٤٨/ب، ٤٩/أ، ٨٢/أ) وحدّثني في كتابه «كتاب الوزراء» قال: حدّثني أبي.. (٥٤/ب) وحدّثني الشيخ، رحمه الله، انه ظفر لابن خالويه بكتاب وقد ذكر فيه للسيف مائة اسم (٥٥/ب) وأنشدني لبعض المحدّثين. (٦٩/أ) وقرأت على الشيخ في كتابه «كتاب العجائب» (٧٣/أ) وقرأت على الشيخ كتاب «نوادر النساء" وأنشدني الشيخ أبياتاً رفعها لابن دُريد (٩٣/أ) وأبياتا رفعها عن ابن خالويه (٨٦/ب) و٩٠/ب و٩١/أ و٩٤/ب و٩٨/أ و١٠٠/ب و١١٠/أ و١١٧/أ.

ويذكر «ابن أبي طيّء» خبر مولد الشنفَرَي ومقتله، والحثّ على حفظ قصيدته. (٥/أ) ثم يذكر أنّ «يونس بن سعيد بن حسن الموصلي الشاعر" قد حدّثه بالقصيدة وبموت الشنفري، وذلك في سنة ٥٩١ هـ. (٥/أ).

وقرأ على أبيه «حُميد بن ظافر» في كتاب «مختار فضائل أهل البيت عليهم السلام» من تأليفه، قال: حدثني أبو منصر موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي بداره ببغداد في شهر شعبان سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، وكنت أقرأ عليه ديوان أبي الطيب المتنبي، وكان أحمد بنعلي بن هبة الله بن المأمون يقرأ عليه «الأصمعيّات»، فجرى في خلال المجلس كلام يقتضي فضل الشعر. (٥/أب) قال المؤلف: قال لي أبي: فجلست ذلك اليوم حتى انقضى المجلس، ثم سألته كتابة هذا الحديث، فأملاني إيّاه وأذِن لي في روايته عنه. (٦/ب) وحدّثني أبي، رحمه الله، قال: حدّثني أحمد بن هبة الله بن المأمون. (٧/ب).

وفي وسط الصفحة (١٣/ب) قال المؤلف: فهذا ما انتهى إلينا من خبر مولد الشنفري، ونحن الآن نبدأ في شرح القصيدة اللاميّة وما يتعلق بها من أشياء لا بُدّ منها، إذ كان هذا الشرح جامعاً لفنون لطيفة، ومعاني طريفة. فمن ذلك: لمَ سُمّي الشاعر شاعراً، والشعرُ شعراً؟... ثم يروي بعد ذلك ما حدّثه به أبوه، (١٤/أ) وما حدّثه به شيخه رشيد الدين. (١٧/ب).

وفي الصفح (١٨/ب) يعرّف بالشنفري ومطلع قصيدته، فيقول: «والشنفَرَي لقبٌ له، واسمه: شمس بن مالك. قال المؤلف: وهذا حينُ الابتداء بشرح القصيدة. قال الشنفَرَي بن مالك يخاطب قومه حين باينهم:

أقيمو (!) بني أمّي صدورَ مَطيّكم

فإني إلى قومٍ سواكَم لاميلُ (!)

هكذا كتب «اقيموا» من غير ألف الجماعة، و«أميل» من غير الألف المهموزة في أولها. ومثل هذا كثير في الكتاب، مع أنه يتضمّن شروحاً لغوية ونحوية وبلاغية وإملائية!!

وبعد ذلك يقول: حدّثني الشيخ الأجلّ يحيى بن الحسن بن البطريق الحلي بحلب في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، وقد ذكره في كتابه «كتاب المناقب» (٣٤/أ و٧٦/ب) وقرات في كتاب «تذكرة أبي علي الفارسي» (٣٨ب) وأنشدني «محاسن الحلبي" لنفسه:

أيّها الغائب الذي شخصه حولي
فحيث التفتُ باشَرَ طرْفي
عن يميني وعن شمالي ومن فوقي
وتحتي وعن أمامي وخلفي (١٠٥/ب)

وكثيراً ما يكرّر عبارة: «قال المؤلف»، وقال مرة واحدة: «قال المؤلف ابن أبي طيّء» (٧٨/أ).

ويمكن القول: إن ما يُنسب إلى «ابن أبي طيّء" من كتاب «المنتَجَب» بشكل مؤكد، هو ما ورد في الصفحة (١٣٧/أ) في شرح بيت الشنفَرَي:

فإنّي لمولى الصبر اجتابّ بِرّة عليّ
مثل قلب السمع والحزم أفعلُ

ليؤكد على معنى الحديث النبويّ: «من كنت مولاه فعليّ مولاه[٥٦]».

فقال:«يعني بالمولى (وليّ)[٥٧]. والذي نفسّر عليه بيت الشنفرى «المولى» هو الولي، وهو الأظهر، فأمّا في الحديث فلا يجوز أن يُفسّر إلا على الأولى. لانه لا يجوز أن يكون النبي صلى الله عليه وعلى آله أراد إلا هو، لأنّ ما عداه [من] الوجوه ليس بالناس حاجة إلى معرفتها، إذ قيام الرسول في ذلك (!) الوقت الذي ذُكر، ومُقاساة الحر الشديد، وجَمْع الناس[٥٨]، لا يصلح إلا لمن[٥٩] فيه فايدة، ولا فايدة إلا تولّيه الولاية، وهو أولى به[٦٠]، أي أولى به فيما يتعلق بالامر والنهي والطاعة، وغير ذلك (!). والذي حدانا على ذكر هذا هنا - وإن لم يكن موضعه - أنني وقفت على كتاب «الاشتقاق» للنحاس[٦١]، فرايته قد كذب بهذا الحديث تنقصاً لعلي عليه السلام وطعناً فيه، وما كان لذلك(!) تعلق بكتاب «الاشتقاق»، ونحن فالجأنا إلى ذلك (!) لفظه «المولي»، والردّ على النحاس، ولكنه هو من أولاد ابن ملجَم، لعنه الله، وقد أفردتُ للردّ عليه كتاباً سمّيته بكتاب «الاشتقاق».

وأقول: لعله تسبّب بتهجمه على العلماء وشتّمه لهم، كما فعل هنا، حين وصف «ابن النحاس" بأنه من أولاد ابن مُلجَم قاتل عليّ رضي الله عنه، بضياع كتبه فمُزقت أو أحرقت أو دُفنت وغيّبت، ولم يصلنا منهاسوى هذا الكتاب، الذي خُتم بالعبارة التالية:

«تم الكتاب الموسوم بالمنتَجَب شرح قصيدة الشنفَرَى بن مالك الأزدي، على حسب ما ساعد الخاطر و(دانت) الفكرة. وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب. وكان الفراغ من هذا الكتاب في عشرين من شهر رمضان من شهور سنة ثمانية عشر وستماية. والحمد لله وحده».

* * *



الهوامش

١ - نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: "الشهاب السهروردي" الفيلسوف (ت ٥٨٧ هـ) و"ابن شهراشوب" (ت ٥٨٨ هـ) و"فخر الدين المارديني" الطبيب (ت ٥٩٤ هـ) و"الجويني" الناسخ (ت ٦٠٠ هـ) و"ابن الزقاق الإشبيلي" (ت ٦٠٥ هـ) و"ابن مماتي" الشاعر (ت ٦٠٦ هـ) و"تاج العلى الشريف النسّابة" (ت ٦١٠ هـ) و"ابو بكر الهَرَوي" الرحّالة (ت ٦١١ هـ) و"أبو اليُمْن الكنْدي" (ت ٦١٣ هـ) و"أبو الفتح الحلبي المشهور بالنقاش" الشاعر (ت ٦١٣ هـ) و"أبو هاشم القُرشي" العلامة المفتي (ت ٦١٦ هـ) و"ابن زُهرة الإسحاقي" (ت ٦٢٠ هـ) و"سراج الدين الرَبَعي" الفقيه (ت ٦٣١ هـ) و"ابن أبي عُصرون" الفقيه (ت ٦٣٢ هـ) و"ابن شدّاد المؤرّخ (ت ٦٣٢ هـ) و"ابن علوان الأسدي" (ت ٦٣٨ هـ) و"ابن الصابوني" المؤلف (ت ٦٤٠ هـ) و"زكيّ الدين المنذري" المؤرّخ المحدّث (ت ٦٤٣ هـ) و"ضياء الدين السعدي" (ت ٦٤٣ هـ) و"موفّق الدين يعيش" (ت ٦٤٣ هـ) و"الوزير القفطي" المؤلف النحوي (ت ٦٤٦ هـ) و"ابن قراجا الأدمي" (ت ٦٤٨ هـ) و"كمال الدين القرشي" (ت ٦٥٢ هـ) و"ابن باطيش الموصلي" (ت ٦٥٥ هـ) و"مهذب الدين المنجّم" (ت ٦٥٥ هـ) و"صدر الدين البكر" (ت ٦٥٦ هـ) و"عون الدين ابن العجمي" (ت ٦٥٦ هـ) و"أبو عبدلله الفاسي" (ت ٦٥٦ هـ) و"ابن قوام البالسي" (ت ٦٥٨ هـ) و"ابن العديم" المؤرّخ (ت ٦٦٠ هـ) وغيره.

٢ - وقيل: "بن حميدة" (أعيان الشيعة، محسن الأمين ٢٨٦/١٠، الأعلام، الزركلي ١٤٤/٨؛ معجم المؤلفين، كحّالة ١٩٥/١٣) وقيل: "يحيى بن أحمد" (أعيان الشيعة).

٣ - هكذا أرخه "ابن الشعار". وذكره "الذهبي" في المتوفين بعد العشرين وستمائة (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - تحقيق عمر عبد السلام تدمري - بيروت، دار الكتاب العربي ١٤١٨ هـ/ ١٩٨٨م، ج٤٥/٤٢١ رقم ٦٣٤)، وقال "الصفدي": "توفي في حدود الثلاثين وستمئة" (الوافي بالوفيات، باعتناء إبراهيم شبّوح، بيروت، مؤسسة الرسالة ٢٠٠٤ - ج٢٨/٩٩ رقم ١٠٢) وأكثر المؤرخين المحدثين يؤرّخون وفاته بسنة ٦٣٠ هـ، ونحن نأخذ بتأريخ "ابن الشعار" فهو أقرب إليه، وقد أرّخه باليوم والشهر والسنة.

٤ - راجع تفاصيل ذلك في: أعيان الشيعة، لمحسن الأمين، بتحقيق حسن الأمين، بيروت، دار التعارف للمطبوعات ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م - ج٢٨٦/١٠، وهو ينقل عن مجموع مخطوط في طهران كتبه الشيخ محمد بن علي بن حسن العاملي الجباعي (٩٤٦ - ١٠٠٦ هـ) يقال إنه منقول عن مجموعة الشيخ محمد بن مكي بن حامد، أبي عبد الله الجزيني العاملي، المعروف بالشهيد (ت ٧٨٦ هـ). أنظر عن "الجباعي" في: موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي، عمر عبد السلام تدمري - بيروت، المركز الإسلامي للإعلام والإنماء ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م - القسم الثالث، ج٤/٢١١ - ٢١٣ رقم ١١٤٨) وعن "الشهيد": القسم الثاني (١٤١١ هـ/ ١٩٩٠م) ج٤/٢١١ - ٢١٣ رقم ١٢٢١.

٥ - المنتجب في شرح لاميّة العرب، لابن أبي طيء، ورقة ٥/أ وب، ٦/ب (وسيأتي الحديث عن الكتاب مفصلاً)

٦ - المصدر نفسه، ورقة ٧/ب.

٧ - قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، المشهور بعقود الجمان، لكمال الدين أبي البركات المبارك بن الشعّار الموصلي (ت٦٥٤ هـ) - تحقيق كامل سلمان الجبوري - بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م - المجلد ٧ - ج٩ (الثامن من المفقود) ص٢٢٥.

٨ - المصدر السابق، المنتجب، ورقة ٣/أ.

٩ - المصدر نفسه.

١٠ . المصدر نفسه، الوافي بالوفيات ١٠٢/٢٨.

١١ . المصدر نفسه.

١٢ . تاريخ الإسلام (٦٠١ . ٦١٠ هـ) . تحقيق عمر عبد السلام تدمري . طبعة أولى ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م . ص١١٢ رقم ١١٨، وفيه مصادر ترجمته.

١٣ . المصدر نفسه، ص٣٦٢ . ٣٦٤ رقم ٥٠٤ وفيه مصادر ترجمته.

١٤ . المنتجب، ورقة ٥/أ.

١٥ . المصدر نفسه، ورقة ٧٦/ب، الوافي بالوفيات ١٠٢/٢٨.

١٦ . المصدر نفسه، ورقة ١٠٥/ب.

١٧ . الوافي بالوفيات ١٠٢/٢٨.

١٨ . الوافي بالوفيات ١٠٢/٢٨.

١٩ . الوافي بالوفيات ١٠٢/٢٨.

٢٠ . الوافي بالوفيات ١٠٢/٢٨.

٢١ . الوافي بالوفيات ١٠٢/٢٨.

٢٢ . الوافي بالوفيات ١٠٢/٢٨.

٢٣ . قول ياقوت هذا ليس موجوداً في المطبوع من كتابه "معجم الأدباء" وهو منقول عن كتاب: لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، طبعة حيدر أباد . ج٦/٢٦٣ رقم ٩٢٤، وطبعة بيروت، دار إحياء التراث العربي ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م . ج٧/ ٤٠٩، ٤١٠ رقم ٩٢٤١.

٢٤ . قول ياقوت هذا أيضاً ليس موجوداً في كتابه المطبوع "معجم الأدباء"، وهو منقول عن: الوافي بالوفيات، للصفدي ٩٩/٢٨ وفيه قال: "وقد طوّل ياقوت ترجمته في معجم الأدباء".

٢٥ . قلائد الجمان ٢٢٦/٩.

٢٦ . المصدر نفسه ٢٢٧/٩، ٢٢٨.

٢٧ . تاريخ الإسلام (٦٢١ . ٦٣٠ هـ) ص٤٢١ رقم ٦٣٤.

٢٨ . الوافي بالوفيات ٩٨/٢٨ . ١٠٣ رقم ١٠٢.

٢٩ . لسان الميزان (حيدر أباد) ٢٦٣/٦ (بيروت) ٤٠٩/٧.

٣٠ . في: معجم المؤلفين ١٩٥/١٣.

٣١ . لسان الميزان (بيروت) ٤١٠/٧.

٣٢ . أعيان الشيعة ٢٨٧/١٠.

٣٣ . كتاب الروضتين في أخبار الدولتين الزنكية والصلاحية، لأبي شامة المقدسي . تحقيق د. محمد حلمي محمد أحمد . القاهرة، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦ . القسم الثاني من الجزء الأول . ص ٥٣٥.

٣٤ . المصدر نفسه، ٥٥٨.

٣٥ . كتاب الاعتبار، لأسامة بن منقذ، حرّره د. فيليب حتّي . برنستون، الولايات المتحدة الأميركية ١٩٣٠ . ص ٢٠٨، وقد أخطأ الدكتور محمود رزق محمود في قراءة اسم "يانس" فأثبته: "يانسي: وقال في تحقيقه لكتابه "عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان" لبدر الدين العيني . طبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م (العصر الأيوبي) ج١/١٤٢ في الحاشية (٨) لعله الخط اليابس"! وراح يشرح كلمة "اليابس" ولجأ الى كتاب "صُبح الأعشى في صناعة الإنشا" للقلقشندي ١١/٣ ليدعم ما

ذهب إليه، فأخطأ ثانية وذهب بعيداً، فليصحّح.

وللمراجعة عن "يانس الناسخ" يُنظر كتابنا: دار العلم بطرابلس في القرن الخامس الهجري . طبعة دار الإنشاء طرابلس ١٩٨٢، ولبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين . تأليفنا . طبعة دار الإيمان، طرابلس ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م. (القسم الحضاري) ٢/ ٢٤٠، ٢٤١.

٣٦ . تاريخ الإسلام (٦٢١ . ٦٣٠ هـ) ص٤٢١ رقم ٦٣٤، وانظر (٥٩١ . ٦٠٠هـ) ص٤٩٤ رقم ٦٥٢ و(٦٠١ . ٦١٠ هـ) ص١١٢ رقم ١١٨ و(٦١١ . ٦٢٠ هـ) ص٤٧٧، ٤٧٨ رقم ٦٥٦.

٣٧ . تاريخ الدول والملوك، المعروف بتاريخ ابن الفرات . مخطوط مكتبه فيينا، رقم ٨١٤ . ج١/ ورقة ٣٨/ب . ٣٩/ب.

٣٨ . أنظر: عقد الجمان (عصر الأيوبيين) ج١/ ٨٦ و٨٧ و٩٥ و١١٢ و١١٣ و١٢٣ (مكرر) و١٢٨ و١٣٦ و١٣٧ و١٤٢ . ١٤٤ وفيه تعداد للذخائر التي أخذها صلاح الدين من خزائن الخلفاء الفاطميين بالقاهرة، و١٤٧ و١٩٥ و٢٠٤ و٢٢٥ و٢٢٧ و٢٢٩ و٢٤٦ و٢٤٨ وفيها نصوص من الأخبار والحوادث ما بين سنتي ٥٦٧ و٥٧٢ هـ. وكلها منقولة عن ابن أبي طيء.

٣٩ . كنوز الذهب في تاريخ حلب، لسِبط ابن العجمي، تحقيق شوقي شعث وفالح البكّور . حلب، دار القلم العربي ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م . ج١/ ٢٢٠.

٤٠ . في: كشف الظنون، وأعيان الشيعة ٢٨٦/١ "أخبار الشعراء السبعة"!

٤١ . في الوافي بالوفيات: "بين الظاء والضاد".

٤٢ . في الوافي بالوفيات: "النيّات"

٤٣ . في فوات الوفيات، لابن شاكر الكتبي . تحقيق د. إحسان عباس . بيروت، دار صادر ١٩٧٣ . ج٤/ ٢٧٠ "القينات".

٤٤ . في الوافي بالوفيات: "شرح غريب".

٤٥ . انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (في ترجمة يغوث) ٣/ ٦٧٠ رقم ٩٣٦٨.

٤٦ . في الوافي بالوفيات: ٣٨/ ١٠٠ "مجلد".

٤٧ . وقع في الوافي ١٠١/٢٨ "كتاب في حكي"! والمثبت عن: فوات الوفيات ٢٧٠/٤.

٤٨ . في الوافي بالوفيات: ٢٦٩/٤ "مُلح".

٤٩ . في فوات الوفيات: "البستان في محاسن الغلمان".

٥٠ . في فوات الوفيات: ٢٧٠/٤ "مختصر في اللغة".

٥١ . في فوات الوفيات: "مودعة السفيه".

٥٢ . في فوات الوفيات: "النكت الشاردة".

٥٣ . منه نسخة مخطوطة بالخزانة التيمورية، بدار الكتب المصرية، رقم ١٤١٨ تاريخ. (التاريخ العربي والمؤرّخون . للدكتور شاكر مصطفى . بيروت، دار العلم للملايين . طبعة ثانية ١٩٨٠ . ج٢/٢٥٤).

٥٤ . نشرتها مصوّرة "المدرسة المفتوحة" في شيكاغو The open school-Chicago دون تاريخ للنشر، ودون تحقيق.

٥٥ . هو أبو اسماعيل الحسين بن علي، مؤيّد الدين الطُغرائي (ت ٥١٤ هـ)، وقصيدته نُشرت بعنوان "تحفة الرائي للاميّة الطُغرائي" بشرح محمد أفندي علي الميناوي، القاهرة، نظارة المعارف العمومية ١٣٢٤ هـ/ ١٩٠٦م.

٥٦ . أخرجه الترمذي في المناقب (٣٧٩٧)، وابن ماجه في المقدمة (١٢١)، وأحمد في المسند ٨٤/١ و١١٨ و١١٩ و١٥٢ و٣٣١ و٢٨١/٤ و٢٦٨ و٢٧٠ و٢٧٢ و٣٤٧/٥ و٣٦٦ و٤١٩، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ١١٠/٣ من حديث بُرَيدة، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، والطبراني في المعجم الكبير ٣ رقم ٣٠٤٩ و٤ رقم ٤٠٥٢ و٥ رقم ٤٩٨٦ و٥٠٦٨ و٥٠٧١ و٥٠٩٦

و١٢/ رقم ١٢٥٩٣ و١٩/ رقم ٦٤٦، وابن المغازلي في المناقب رقم ٣١ و٣٢ و٣٦، وابن عساكر في: تاريخ مدينة دمشق - طبعة دار الفكر ٤٢/ ١٠٠ و١١٦ و١١٧ و١٢٠، والذهبي في: تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) - بتحقيقنا - بيروت، دار الكتاب العربي، طبعة أولى ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م. ص٦٢٩ و٦٣٢.

٥٧ - عن هامش المخطوط.

٥٨ - يريد بذلك يوم غدير خُم، وهوعند الجُحفة بين مكة والمدينة.

٥٩ - في المخطوط كتبت "لامن"!.

٦٠ - هكذا في المخطوط. والصواب: "وهو أولَى بها".

٦١ - هو أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل المعروف بابن النحاس المصري، النحوي، اللغوي. كان يُنَطر بابن الأنباري، ونفْطويه ببلده. توفي في ذي الحجة سنة ٣٣٨ هـ. واسم كتابه: "اشتقاق الأسماء الحسنى". انظر عنه في: تاريخ الإسلام، للذهبي - بتحقيقنا - حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٥٠ هـ - ص١٥٥ رقم ٢٤١ وفيه حشدنا مصادر ترجمته.

* * *

